النقد الثقافي جذوره وإجراءاته

مقدمة :

استحوذت المناهج الشكلانية والبنيوية لفترة هامة على قراءة النص في وجوده المغلق أو المفتوح ، بين التركيز على المرجعيات الاجتماعية، والنفسية ،والتاريخية ، أو تقف على أدبيته الأسلوبية ، والتركيبية ،والدلالية بمعزل عن المرجعيات السابقة ، لكن مع مرحلة ما بعد حداثة تكونت فجوة في النظام القرائي القديم بميلاد منهج مغاير ، تجاوز في تطبيقاته البنية اللغوية وسياق تكونها ، إلى قراءة ثقافية يأخذ فيها النقد جانبا لم يوطأ من قبل، و يتّخذ من الثقافة بشموليتها موضوعا للبحث ، لكونها تعبيرا عن وعي جمعي له جبروته في توجيه الخطاب ، ومنه أصبح الخطاب حادثة ثقافية ،وأصبح النسق وفق هذه الرؤى عنصرا مركزيا في المعرفة لميزته في المخاتلة ليمرر مضمراته ، ويتطلب قارئا حذقا و حصيفا ملما ، يمتلك ترسانة معرفية من شتى العلوم والنظريات والمناهج والدراسات المختلفة ، لتكون له أدوات أساسية للتحليل والحفر واستجلاء هذه الأنساق وتأويلها بربطها بسياقاتها المتعددة ، وهذا ما يدفعنا لخوض معركة مفاهيمية لمعرفة كنه هذا النسق المتلون بحيل الثقافة المختبئ في تلافيف النص بصور متعددة.

1- مفهوم النقد الثقافي وعلاقته بالدراسات الثقافية :

يعود ظهور النقد الثقافي إلى القرن الثامن عشر، لكن البوادر الحقيقية كانت مع " مقالة شهيرة للمفكّر الألماني اليهودي تيودور أدورنو Theodor W. Adorno، تعود إلى 1949 عنوانها " النقد الثقافي والمجتمع" والمقالة هجوم على ذلك اللون من النشاط الذي يربطه الكاتب بالثقافة السائدة في القرن التاسع عشر

بوصفه نقدا بورجوازيا يمثل مسلّمات الثقافة السائدة"[1]. حيث ينتقد أدورنو هذا النقد الذي يوجه سهامه نحو الممارسات السياسية الخاطئة في داخل الثقافة السائدة ، ويعدّه نقدا بورجوازيا، يخدم الطبقة المسيطرة التي تمتلك وسائل الهيمنة لتمرير وترسيخ ثقافتها .

فقد كان " نقد أدورنو الذي شاركه فيه عديد من المفكّرين والنقّاد ذوي الانتماء اليهودي في المقام الأول على الثقافة الغربية في ألمانيا بوجه خاص، بوصفها متسامحة مع النزوع التآمري ضد الأقليات ، وذوي الاتجاهات الثقافية المختلفة من جماعات وأفراد. في مفتتح مقالته يشير أدورنو إلى توجه النقد الثقافي إلى نقد الحضارة الغربية"[2] فقد وجه سهام النقد إلى الثقافة الغربية في عمومها ، وإن خصبه الحضارة الألمانية لأنها متسامحة مع النزعات التآمرية ضد الأقليات ، وضد أصحاب الثقافات المختلفة منطلقا مما عاناه اليهود من إبادة في المجتمع الألماني

ومن جانب آخر تعدّ الدراسة التي قدّمها " يورغن هابرماس Jürgen Habermasفي مدرسة فرانكفورت في النصف الأول من القرن العشرين في كتاب بعنوان " المحافظون الجدد : النقد الثقافي والحوار التاريخي" ذلك أنّ هابرماس لم يعن بتعريف المفهوم واكتفى بدلالة شائعة كتلك التي تضمنتها مقالة أدورنو، كما أنّ من الأعمال التي تتكئ على دلالة عامة وغير محدّدة للنقد الثقافي دراسة مهمة للمؤرخ هايدن وايت Hayden White بعنوان : " بلاغيات الخطاب: مقالات في النقد الثقافي (1978) " يشير فيه إلى أنّ الخطابات الموظفّة في العلوم الإنسانية تقوم على بلاغيات لا تختلف كثيرا عما يعتمد عليه الأدب. وواضح أنّه اعتبر تحليله لذلك التداخل الخطابي نوعا من النقد الثقافي"3 فهذه الأعمال المقدمة كانت تكملة لما قاله أدورنو دون إعطاء مفهوم أو صياغة للنقد الثقافي ، وحسب المفهوم فالنقد الثقافي في بلاغته وتحليلاته لا يختلف عما تقوم به المناهج الأدبية .

وقد بدأت معالم النقد الثقافي تتضح أكثر ،ويتبلور مفهومه وتُصاغ قواعده على يد فنسنت. ب. ليتش Vincent. B. Leitchالذي كان أول المنظرين في كتابه النقد الأدبي الأمريكي1988 ليستوعب بهذا المصطلح متغيرات ما بعد الحداثة وما بعد البنيويةو " تتمثل مهمته الأساسية في تمكين النقد المعاصر من الخروج من قوقعة الشكلانية و النقد الشكلاني الذي حصر الممارسات النقدية داخل إطار الأدب ، ومن هذا حتى يتمكن من تناول مختلف أوجه الثقافة ولاسيما التي أهملها النقد الأدبي "4، أي أنّ النقد الثقافي جاء متماشيا مع المتغيرات و تجاوز الأدب المؤسساتي وخاض في تجربة نقدية جديدة انفتح مجالها على فنون أخرى غالبا ما كانت خارج العملية النقدية وهي الثقافة الهامشية .

ولقد بنى النقد الثقافي صرحه على مرتكزات عديد ة منها ؛الدراسات الثقافية والتاريخانية الجديدة (New historicisim)،وما بعد الكولونيالية والنقد النسوي. وكانت هذه المشارب المحضن الأم للخلفيات المعرفية له ،وبذلك فتح النقد الثقافي آلياته على ما وراء النص مكتشفا السياقات المختلفة التي شكّلت بناه .

من المتفق عليه بين الباحثين أنّ للدراسات الثقافية أثرها البالغ في تأسيس مفاهيم النقد الثقافي ،و كانت بداية ذلك من أرضية فلسفية لمدرسة فرانكفورت ،وما تمثّله ممثلوها من توجّه نقدي، يرمي لرصد مختلف الأعراض المرضية التي عرفتها الحضارة الغربية الرأسمالية على كل المستويات ، والبرهنة على " عقلانية المشروع الثقافي الغربي في جوانبه الثلاثة (كنتاج نظري علمي ، وكنظم اجتماعية تاريخية ، وكنسق قيمي سلوكي ، تؤلّف كلّها إيديولوجية شمولية تهدف إلى تبرير التسلّط وجعله عقيدة "5.ثم تبلورت مفاهيم الدراسات الثقافية أكثر ، وتطورت عندما تأسس "مركز 'برمنجهام" للدراسات الثقافية المعاصرة (bermingham center for contemporary culturel studies) على يد Hogogart في عام 1964 حيث نشر المركز سنة 1971 صحيفة أوراق عمل في

الدراسات الثقافية ((working papers in culture studies) والتي تناولت وسائل الإعلام (Media)، والثقافة الشعبية populaire culture) والثقافات الدنيا (Sub culture) والمسائل الأيديولوجية (Idiological matters) والأدب(Literature) وعلم العلامات (Semiotics) والمسائل المرتبطة بالجنوسة (Gender related issues) والحركات الاجتماعية (Social movents) والحياة اليومية (Evreyday life) وموضوعات أخرى متنوعة"[6]

وتناولت هذه المدرسة في طرحها جانبا من ثقافة لطالما غُيبت عن الدراسات وأولت أهمية لها من خلال تناولها لمواضيع كالأفلام البوليسية والرقص والغناء والثقافة الشعبية من الحكايا ،والأساطير ،والأمثال الشعبية ، والثقافة الدنيا والمسائل الإيديولوجية ، والأدب وعلم العلامات ، ومسائل الجنوسة وكل ما تعلق بالحياة اليومية .

ونظرا لما قدمه هؤلاء العلماء وغيرهم تقدمت الدراسات الثقافية العامة بشكل ملحوظ، وتبلورت عنها الدراسات الثقافية الخاصة بالأدب، و وصلت هذه الأخيرة إلى أكمل وجوه التمثل من خلال أشهر كتب ريموند وليامزRaymond Williams(الثقافة والمجتمع) الذي صدر عام 1958، وهو يقع ضمن تحولات كبيرة في الدرس الأدبي والثقافي وكذا نتاج نورثروب فرايNorthrop Frye ، ورولان بارت Roland Barthes، و جاك لاكانJacques Lacan، وروما ن ياكبسون Roman Jakobson، زيادة على ما قدمته البريطانية "ماري دوجلاسMary Douglas".

فمؤلفات هؤلاء التي كانت في هذا المجال كان هدفها إلقاء الضوء على ثقافة طالما ركنت في مناطق مظلمة ،و وتناولتها بالدراسة والتحليل وفق منهجية قرائية جديدة لعديد النصوص الثقافية الشعبية التي ذاع صيتها من مثل الصحف،والمجلات ،والموسيقى، والروايات الشعبية ،ومع هذه الدراسات تمت الانطلاقة الفعلية نحو كسر مركزية النص الأدبي الرسمي أولا وبداية لإحلال مفهوم النص الثقافي ثانيا ،الذي كانت وجهته للكتابات الهامشية التي تناولها النقاد

بالبحث والدراسة ، مثل كتابات الطبقة العاملة، وكتابات الملونين، وكتابات المرأة وكل ما تنتجه الطبقة المهمشة .

وقد كان لهذه الدراسات تأثير كبير، تمثل في تقويض الحدود القائمة في الحقول المعرفية المختلفة، وإذابة الفواصل الموجودة إذ اعتمدت الدراسات الثقافية الخاصة بالأدب على قضايا ونظريات ومناهج مستقاة من الدراسات الأدبية والتاريخ وعلم الاجتماع، ودراسات الاتصال والسينما، وهذا بدوره افقد الأدب امتيازه كوعاء للقيم الكونية العامة، وأدى أيضا إلى قراءة النصوص الأدبية إلى جانب أنماط وأنواع الكتابة الأخرى.

فالدراسات الثقافية جاءت بمهمة مختلفة نظرا لطبيعتها التي تقوم على تقويض الحدود والفواصل القائمة بين الحقول المعرفية ، حينما استعانت بنظريات من مختلف المجالات وكسر ت مركزية النص الأدبي ، و أخذت بما يتحقق فيه وما ينكشف عنه من أنظمة ثقافية ، وسنوجز خصائص الدراسات الثقافية في النقاط التالية :7

-تهدف الدراسات الثقافية إلى تناول موضوعات تتعلق بالممارسات الثقافية وعلاقتها بالسلطة، وتهدف من ذلك إلى اختيار مدى تأثير تلك العلاقات على شكل الممارسات الثقافية.

- على الرغم من كونها كينونة منفصلة عن السياق الاجتماعي والسياسي فإن الدراسات الثقافية ليست مجرد دراسة للثقافة فالهدف الرئيسي لها هو فهم الثقافة بجميع أشكالها المركبة والمعقدة وتحليل السياق الاجتماعي والسياسي في إطار ماهو جلي في حد ذاته .

- تهدف الدراسات الثقافية لأن تكون التزاما فكريا وبراغماتيا .

– تلتزم الدراسات الثقافية بالارتقاء بأخلاقيات المجتمع الحديث وأيضا بالخط الجوهري للعمل السياسي ...و تهدف إلى فهم شكل الهيمنة في كل مكان و تغييره خاصة في المجتمعات الصناعية.

فهدف الدراسات الثقافية هو الوقوف على موضوعات لها علاقة بالسلطة ومحاولة فهم العلاقة القائمة بينهما ، والدراسات الثقافية لا تأخذ بالثقافة كونها موضوعا للدراسة وإنما هدفها فهم هذه الثقافة في شكليها البسيط والمعقد، والوقوف على السياقات المنتجة لهذا الخطاب ، و من خلال ذلك تهدف للوقوف على السياسة المهيمنة وتقويضها للارتقاء بالفرد والمجتمع .

لقد كانت الدر اسات الثقافية إحدى الركائز التي بنى عليها النقد الثقافي أسسه، وتشبع من مخزونها الثقافي المعرفي ، واعتمد عليها في استراتيجيته النقدية لقراءة الخطاب.

2– النقد الثقافي في الحقل النقدي العربي

تعود الريادة في هذا المجال للباحث عبد الله الغذّامي في كتابه : النقد الثقافي " قراءة في الأنساق الثقافية العربية"، وإن سبقته دراسات واجتهادات كانت اللبنة الأساسية لظهور هذا المنجز والتفرد به تنظيرا وتطبيقا ،فلقد تجاوز ما عهده من الاشتغال على الجانب الأدبي البلاغي والجمالي .

يذهب الغذّامي إلى أن الـ نقد الثقافي يسعى إلى الاشتغال على النص، و هو وسيلة يتم من خلالها كشف ما في النص من أنساق ثقافية لاعتباره حادثة ثقافية تضمر داخلها ما حواه السياق، والاشتغال عليه من خلال النسق الذي يتحقق عبر وظيفته بوصفه نشاطا وليس مجالا معرفيا قائما بذاته ، وله مهمة متداخلة ومتعددة، وأعطاه السلطة في تحليل الخطابات واستثمار المعطيات النظرية والمنهجية التي يغرف بها من حقول معرفية متداخلة ، ويعرفه بأنّه " فرع من فروع النقد النصوصي العام ، ومن ثَمَّ فهو أحد علوم اللغة وحقول " الألسنية" معنى بنقد الأنساق المضمرة

والتي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه ، ما هو غير رسمي وغير مؤسساتي وما هو كذلك سواء بسواء من حيث دور كل منها في حساب المستهلك الثقافي الجمعي ولذا فهو بهذا معنيلا بكشف الجمالي كما هو شأن النقد الأدبي وإنّما همه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي /الجمالي"8.

فالنقد الثقافي أحد علوم اللغة ، هدفه تحليل النصوص الأدبية والوقوف على الأنساق الثقافية المضمرة والمخاتلة القادرة على التواري والتمنّع خلف البنى اللغوية، المتسربة بطرق لا واعية إلى وعي المؤلف ، ومن ثَمَّ إلى الخطابات ،و يتم الحفر عنها و الوقوف على معانيها بآليات منهجية متعددة يستعين بها النقد الثقافي في ذلك .

أماجاسم الموسوي فيرى أن هناك وضعا جديدا يتطلب إعادة القراءة والتركيز على الجانب الثقافي منه و عليه صاغ استفهامه "هل يمكن الحديث عن النقد الثقافي بصفته فرع من فروع المعرفة ؟ لا يقبل النقّاد الثقافيون بذلك . لأنّ النقد الثقافي فعالية تستعين بالنظريات والمفاهيم والنظم المعرفية لبلوغ ما تأنف المناهج الأدبية المحضة المساس به أو الخوض فيه، إذ كيف يتسنى للناقد الأدبي أن يخوض في العادي و ا لمبتذل و الوضيع واليومي ، والسوقي بعد ما تمهر كثيرا في قراءة النصوص المنتقاة والمنتجة التي يتناقلها نقّاد الأدب ودارسوه على مر العصور"9.

يظهر من هذا القول أنّ جاسم الموسمي يرى بضرورة استحداث مناهج جديدة تتماشى مع التغيرات والتحولات الما بعد حداثية لقراءة خطابات تتميز بمحمولاتها ، وتنفتح على ثقافة طالما همشتّها الدراسات النقدية بعد أن تعودت على أدب راق نخبوي ، ويشير إلى أنّ الناقد الأدبي الذي تعود على النصوص البلاغية تأنف ذائقته عن الخوض في السوقي والمبتذل لأنه تعود الاعتماد في تطبيقاته على المنتوج الأدبي الراقي، وعلى ما هو نخبوي، ولهذا كان لزاما استحداث إجراء جديد يتماشى مع التحولات المفاهيمية الجديدة ومسايرة الوضع الجديد .

أمـا عبـد القـادر الربـاعي فيـرى أن النقـد الثقـافي "يعنـي التوسـع فـي مجـالات الاهتمـام والتحليـل للأنسـاق ؛ إذ لـم يعـد الأدب بـالمفهوم التقليـدي هـو السـائد غالبـا فـي مجـال الدراسـة التحليليّـة النقديّـة وإنّمـا غـدا فـي بعـض الدراسـات المعاصـرة جـزءا مـن كـلٍّ أكبر و أوسع و أشمل ، حتى سميَّ هذا الكلّ : الدراسات الثقافية "10

يـرى هـذا الناقـد ضـرورة توسُّـع مجـالات الدراسـة والتحليـل مـن خـلال النقـد الثقـافي، لأنّ الأمـر لـم يعـد مقتصـرا علـى النقـد الأدبـي الـذي يسـخّر آلياتـه لمـا هـو جمـالي ، لكـن هنـاك مـاهو غيـر ذلـك ، إلـى حيـث يصـبح هـذا النقـد ، أي الأدبـي جـزءا مـن نقـد شـامل هـو الدراسـات الثقافيـة ،وهـو بهـذا يخول للنقد الثقافي الأهميَة الكبرى في التحليل .

3- مفهوم النسق الثقافي :

3-1--مفهوم النسق:

1-1-1 النسق لغة :

ورد مفهـوم النسـق فـي معـاجم اللغـة العربيـة، ومنهـا معجـم لسـان العـرب لابـن منظـور فـي مـادة " نَسـقَ " فـي قولـه : "النسـق مـن كـل شـيء : مـا كـان علـى طريقـة نظـام واحـد، عـام فـي الأشـياء ، وقـد نسَّـقْتُه تنسـيقا ، و... نسَّقَالشـيء ينسـقه نسقاونسـقه نظمـه علـى السواء...ونسـق الأسـنان: انتظامهـا فـي النبتـة وحسـن تركيبهـا ...والتنسـيق:التنظيم .والنسـق :ماجـاء مـن الكلامعلـى نظـام واحـد" 11فالنسـق وفـق هـذا المعنـى مـرادف للنظـام والتنظـيم سـواء فـي جانبـه المـادي ،أو جانـب المعنـى الـذهني المرتبط بالكلام .

3-1-2اصطلاحا :

لقـد ارتـبط مصـطلح النسـق فـي البدايـة بالدراسـات البنيويـة ، ويعـود ذلـك إلـى مؤسـس اللسـانيات البنيويـة فرديناند دوسوسـيرFerdinand de Saussureفـي دراسـته اللغويـة (نظريـة النسـق اللغـوي) ويكـون " تلـك العناصـر اللسـانية التـي

تكتسب قيمتها بعلاقاتها فيما بينها ، لا مستقلة عن بعضها" 12؛فالعنصر يمتلك قيمته من خلال علاقته ببقية العناصر وليس بوجوده المجرد ، وهذه العناصر تكتسب قيمتها من خلال وظيفتها داخل المجموعة ، وأنّ أي خلل في الوظيفة يفقدها قيمتها ودلالتها داخل النسق الذي له قوانينه الخاصة المحايثة، من حيث هو نسق يتصف بالوحدة الداخلية والانتظام الذاتي فالتعريف الذي استخدمه دوسوسير لمصطلحات مثل " النسق" و"النظام" كانت البذرة الأولى للدراسات اللغوية التي نظرت للّغة باعتبارها نظاما أو بنية ، فالانطلاقة الفعلية للتأسيس لهذا المفهوم كانت من حقل لساني .

3-2-مفهوم الثقافة

3-2--1- مفهوم الثقافة عند الغرب:

تعدّدت تعاريف هذا المصطلح لغويا واصطلاحيا وتضاربت ،وقد حصرا ألفراد لويس كروبيرAlfred Louis Kroeber وكلايد كلاكهونClyde Kluckhohn " ما يزيد عن 160 تعريفا في اللغة وتشير الدراسات إلى أن أصل كلمة ثقافة لاتيني وهو cultura، ويرجع معناه إلى الاهتمام بالأرض وزراعتها واستنباتها وتنمية محصولاتها يعود الفضل للباحث الأنثروبولوجي إدوارد بورنتتايلور Edward Burnett Tylor(1832-1917)في إعطاء أول تعريف لها في كتابه الثقافة البدائية (primitive culture) عندما قال : " إنّ "ثقافة" أو "حضارة " هي هذا الكلّ المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق و القانون والعادات وكل القدرات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في مجتمع " 13 .

أما عالم الأنثروبولوجيا كلود ليفي - ستروس Claude Lévi-Strauss فيعرف الثقافة كالتالي : "يمكن اعتبار كلّ ثقافة مجموعة أنساق رمزية تتصدّرها اللغة و قواعد التزاوج والعلاقات الاقتصادية والفن والعلم والدين " فالثقافة هي مجموعة من الرموز مثل اللغة والقواعد و القوانين التي تضبط الزواج بين الأفراد

والعلاقات الاقتصادية والفن والعلم وتعرف روث بنديكت الثقافة بأنها: " ذلك الكل المركّب الذي يشمل العادات التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع "

3-2-2- مفهوم الثقافة في النقد العربي المعاصر :

فقد وردت لفظة الثقافة في القرآن الكريم بمعنى الظفر بالشيء والتفتيش والتنقيب عنه ، فقد جاء في سورة الممتحنة " وإن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء "الممتحنة الآية 2 " ما يدل على قوة الإدراك

ولعل ابن خلدون كان يعني بما أطلق عليه (الملَكة) ما تدل عليه لفظة (ثقافة) ممتزجة بالموهبة ، فقد ذكر أنّ نوع المحفوظ يقرر اتجاه صاحبه في الأدب والعلم : فالملكة الشعرية تنشأ بحفظ الشعر ، وملكة الكتابة بحفظ الأسجاع والترسل ، والعلمية بمخالطة العلوم والإدراكات والأبحاث والأنظار والفقهية بمخالطة الفقه ". وهذا يدلّ على الملكة والموهبة حيث تتشكّل هذه الموهبة من خلال الدربة والممارسة في مجالات مختلفة وتتجاوز الثقافة في نظر مالك بن نبي فرادة الطابع العلمي وما يتحصل عليه الفرد من معارف مختلفة من ميادين علميّة شتى، إلى أن تصبح أيضا كل ما يكتسبه الفرد من عادات ، وتقاليد ، وقيم تحدّد شخصيته في مجتمعه و تعامله مع الآخرين ، و تحتاج في بناءها إلى عناصر أساسية وجوهرية تدخل في تكوينها وتشكّل معا تركيبا متجانسا يمتلك فعالية في التأثير وا لتغيير ؛ تغيير الوضع القائم بالتخلي عن الأفكار القديمة ومواكبة التحضّر من خلال أفكار جديدة لأجل نهضة عربية إسلامية ، وهذه العناصر هي:

- التوجيه الأخلاقي .- التوجيه الجمالي.- المنطق العملي.- التوجيهالفنّي.

3-3- مفهوم النسق الثقافي

ارتحل مفهوم النسق إلى المجال الأدبي ولقي اهتماما من لدَن النقّاد المحدثين وبخاصة لدى أعلام النقد الثقافي ، وأصبح النسق الثقافي مفهوما إجرائيا ومركزياّ وهو في مشروعهم " مجموعة من القيم المتوارية خلف النصوص والخطابات والممارسات" 14 وهو المضمر المتخفّي خلف البنى اللغوية متلبسا بالجميل

في ظاهره ، وقد كان للغذّامي السبق في هذا التأسيس ، وأخذ النسق عنده طابعا مغايرا حيث تجاوز طبيعته المجردة الممثّلة لبنية النص إلى حيث يتحقق وجوده عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد ، وحتّى تتحقّق الوظيفة النسقية كان لا بد من وسيلة متطورة كفيلة وقادرة على تعرية علل الخطاب ورصد حركة الأنساق الثقافية فيه ،من خلال توظيف الأداة النقدية الجمالية لتكون أداة للتأويل في النقد الثقافي .

وهذا ما كان يتطلّب تحويرا في كثير من المفاهيم والمصطلحات، وكان بداية في تعامله مع نموذج جاكبسون الاتصالي ، فتحرير المصطلح من قيده المؤسساتي هو الشرط الأول لتحرير الأداة النقدية ، وذلك من خلال إجراء تحويلات وتعديلات في المصطلح لكي تكون له القدرة الكافية لأداء مهمته .

وقد اقترح الغذّامي أدوات إجرائية تمكنّه من الكشف عن الأنساق المضمرة مقتديا بجاكوبسون الذي استعار نموذج الاتّصال الإعلامي ونقله إلى النظرية الأدبية كي يفسر وظائف اللغة وتحديدا وظيفة أدبية اللغة

3-3-1النسق المضمر

لا يتحقّق النسق الثقافي في مجال النقد الثقافي حضوره إلّا ضمن شروط وهي

- يتحدد النسق عبر وظيفته وليس عبر وجوده المجرد

- يقتضي أن نقرأ النصوص و الأنساق قراءة خاصة ، من وجهة نظر النقد الثقافي ، أي أنّها حالة ثقافية والنص هنا ليس نصا أدبيا أو جماليا فحسب ، ولكنه حادثة ثقافية كذلك .

-أن يتمتع النص بالجمالية

- والنسق من حيث هو دلالة مضمرة ، فإنّ هذه الدلالة ليست مصنوعة من مؤلّف ، ولكنها منغرسة ، مؤلّفتها الثقافة

- والنسق ذو طبيعة سرديّة، يتحرك في حبكة متقنة، ولهذا فهو خفي

- الأنساق الثقافيّة هذه أنساق تاريخيّة وأزليّة وراسخة

- هناك نوع (من الجبروت الرمزي) ذي طبيعة مجازية كليّة / جماعيّة

- يتجلى من خلا ل هذه المعطيات أنّ النسق الثقافي نسقان ؛أحدهما ظاهر والآخر خفي، ولا يكون النسق ثقافيا إلّا إذا كان مضمرا يتوارى خلف الجمالية اللغوية ، يتم اقتفاء آثاره من خلا ل الحفر في المتون ، وذلك من خلا ل إشارات وإيحاءات يعطيها النص حينما يصبح بفعل ما يحققه من مقروئيّة وجماهريّة وجماليّة تؤثر بفعل ديمومتها وأزليتها مشكّلا في حدّ ذاته حادثة ثقافيّة . وبإضافة العنصر السابع نكون قد تحررنا من القراءة الجمالية التي تتوقّف على الأعمال الأدبية، إلى حيث القراءة الثقافية التي نستجلي من ورائها الأنساق الثقافيّة في النص/ الخطاب ،وبهذه الإضافة تصبح هناك سبع وظائف (ذاتية ، إخبارية ،مرجعية ،معجمية ، تنبيهية ، شعرية ،نسقية)

3-3-2- الدلالة النسقية:

تتولّد الدلالة النسقية بعد إضافة العنصر السابع وهي "قيمة نحوية و نصوصيّة، مخبوءة في المضمر النصي في الخطاب اللغوي ونحن نسلّم بوجود الدلالتين الصريحة والضمنية، وكونهما ضمن حدود الوعي المباشر كما في الصريحة، أو الوعي النقدي كما في الضمنيّة، أما الدلالة النسقيّة في المضمر وليست في الوعي

3—3-3- الجملة الثقافية:

تحتاج الدلالة النسقيّة إلى جملة ثقافيّة يعرفها الغذّامي بقوله: " والجملة الثقافيّة هي حصيلة الناتج الدلالي للمعطى النسقي، وكشفها يأتي عبر العنصر

النسقي في الرسالة ثم عبر تصور مقولة الدلالة النسقية، وهذه الدلالة سوف تتجلى وتتمثّل عبر الجملة الثقافية. والجملة الثقافية ليست عددا كميا. إذ نجد جملة ثقافية واحدة في مقابل آلاف جملة نحوية، أي أن الجملة الثقافية هي دلالة اكتنازية وتعبير مكثّف"15 . فهي إذن الجملة الكاشفة للنسق والمعبرة عنه كمستوى دلالي ثالث للنص

3-3-4المجاز الكلّي:

استعار الغذامي في مشروعه النقدي مفهوم المجاز من حقول البلاغة أين يعني بالمفردة والجملة إلى مجال الاستعمال الثقافي ، و هو المجاز الكلّي الذي يصبح يمتلك قيمة ثقافية ، وتتحول القيمة البلاغية التي ستنفرد بها اللفظة الواحدة إلى أن تكون قيمة ثقافية يحتويها الخطاب فـ " المجاز الكلّي هو الجانب الذي يمثّل قناعا تتقنع به اللغة لتمرر أنساقها الثقافية دون وعي منّا

3-3-5-التورية الثقافية:

يقصد بالتورية في البلاغة إيراد لفظ له معنيين أحدهما قريب وغير مقصود والثاني بعيد وهو المقصود، وهذا ما قصده الغذامي من التورية لاحتوائها على بعدين وتصبح وظيفة التورية الثقافية هو البحث عن المضمر المتواري خلف جمالية اللغة

3-3-6-المؤلف المزدوج:

فالمؤلف المزدوج الذي قصده الغذامي ليس المؤلّف العادي المعهود مهما تعددت أصنافه كالمؤلّف الضمني والنموذجي والفعلي ، إنّما هو المؤلّف/ الثقافة فحينما يكون المبدع في حالة إبداعية لإنتاج نّص جماليّ تتسرب بالمقابل أنساقا ثقافية متجذّرة في اللاوعي الجمعي إلى النص بطريقة لا واعية من المؤلف تكون مناقضة لما جاء في الخطاب

خاتمة :

- جاء النقد الثقافي كي ينقد المناهج النصوصية في شكلانياتها المبنية على شبكة البنى والعلاقات والنظم المحايثة ، متجاهلة دور السياق ، وهذا ما يراه بعض الدارسين في كون النقد الثقافي جاء ضرورة حتمية و استجابة منهجية طبيعية للتغيرات التي شهدتها عملية الإنتاج الأدبي والثقافي في المجتمعات العربية الحديثة والمعاصرة التي تتطلب قراءة خاصة .

-أشار الغذّامي الى ضرورة تحوير آليات النقد الأدبي لقراءة النصوص لتمكين القارئ أو الناقد في الحفر عميقا في النصوص والخطابات لاستكناه الأنساق المتسترة .

-شهد للنقد الثقافي قدرته على إماطة اللثام عن ثقافة هامشية لطالما استبعدت عن مجالات الدراسة، بحكم أنها لا ترتقي لتكون محلّ اهتمام [i]

قائمة المراجع :

1-ميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي (إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا) ،

[2] -عبد الله الغذامي : النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية

3- توفيق شابو: النزعة النقدية عند مدرسة فرانكفورت، براديغمات :الإنسان الثقافةالفن

4-آرثر إزابرجر: النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية

[5] اسماعيل خلباص حمادي : النقد الثقافي مفهومه ، منهجه ،إجراءاته 8

6-محسن جاسم الموسوي : النظرية والنقد الأدبي

[7]-عبد القادر الرباعي: تحولات النقد 1

8 - أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور : لسان العرب

9-عبد العزيز حمودة :المرايا المحدبة ،من البنيوية إلى التفكيك

10- مجموعة من الكتاب : نظرية الثقافة

11- ناذر كاظم: الهوية والسرد ، دراسات في النظرية والنقد الثقافي

12- عبد الله الغذّامي وعبد النبي صطيف : نقد ثقافي أم نقد أدبي